الخطاب القرآني بين العقل الصريح، والعاطفة الصادقة

-قراءة في إعجاز القرآن العلمي النفسي-

Coranic Speech Between Clear Mind And Sincere Emotion

الدكتور عماد بن عامر

أستاذ محاضر أ،كلية الآداب واللّغات

جامعة البليدة 2-علي لونيسي-

إمام الجامع الكبير بالعاصمة

الملخص بالعربية:

إن مما وقع عليه الإجماع قديما وحديثا، أن القرآن الكريم كلام الله المعجز الذي انبهرت العقول لجمال تأليفه وروعة كلماته، وقوة المعاني المبثوثة في ثناياه، وقد تكلم العلماء في صنوف إعجازه، فمن مكثر، ومن مقلٍّ، ومن متوسط في تعداد أوجه إعجازه.

والذي يعنينا في هذه الدراسة نوع من أنواع إعجازه، والمتمثل في مزاوجة الخطاب القرآني بين الخطاب العلمي العقلي الدقيق، المؤيد بالحجج والبراهين على صدق دعاواه، وبين الخطاب العاطفي الوجداني الذي يملك بها النفس ويأسرها، ويؤثر فيها تأثير السحر في المسحور.

فجاء هذا البحث ليقيم الدليل والبرهان على صحة هذا النوع من الإعجاز.

الكلمات المفتاحية:القرآن الكريم، الإعجاز، الخطاب القرآني، الخطاب العلمي العقلي، الخطاب العاطفي الوجداني.

الملخص بالإنجليزية:

El Coran El Karim is the miraculous word of Allah which had amazed minds for its beautiful composition, magnificent words and the strength of meanings diffused through it.

This subject is one of the subjects getting common assent in the past and at present. Scientists had spoken in its different miracles; there were who mentioned a lot, who mentioned less and others who were middle.

One kind of Coranic speech miracles that concerns us in this study: it is combining the rational strict scientific speech supported by evidences and proofs of truthfulness of its words, with the emotional spiritual speech which takes and encloses souls.

So, this research is made to stand evidence and proof of the veracity of this sort of miracles.

Key words: El Coran El Karim; Coranic speech;scientific speech; spiritual speech; miracles.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة في إعجاز الخطاب القرآني:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أكرمنا الله بإنزال القرآن على سيد ولد عدنان، معجزة مستمرة على مر الدهور والأزمان، رفعا لشأن هذه الأمة، وتبيانا لقدرها، وتنويها بمكانتها، مقارنة لها مع باقي الأمم، قال السيوطي رحمه الله-مبينا خاصية أمتنا-: «وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادهم وقلة بصيرهم، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم، لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر»[1].

لقد بات من المقرر في الأذهان، والموكد في النفوس والعقول، أن القرآن كلام الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، معجزفي جمال تأليفه، وروعة كلماته، وقوة المعاني المبثوثة في ثناياه، فمن صنوف إعجازه: تنوع مقاصده، وإخباره بالغيبيات، وفصاحته الرائقة، وبلاغةُ أسلوبه بين إجمال وتفصيل، وتشبيه وتمثيل، وروعةُ تراكيبه، ودقةُ ألفاظه، وقوةُ حجاجه، يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات: «...نزل بأسلوب بديع لا عهد للآذان ولا للأذهان بمثله، فلا هو موزون مقفًّى، ولا هو سجع يتجزأ فيه المعنى في عدد من الفقر، ولا هو مرسل يطرد أسلوبه دون تقطيع ولا تسجيع، إنما هو آيات مفصلة متزاوجة، يسكت عندها الصوت ويسكن الذهن، لاستقلالها بالمعنى، وانسجامها مع روح القارئ ووجدانه، فلما سمعه العرب -وهم زعماء القريض وأمراء البيان- أكبروه وأنكروه، وعجزوا أن يردوه إلى نوع من أنواع الكلام المعروفة، فقالوا مضطربين: إنه شعر، أو فعل ساحر، أو سجع كاهن، ووصفهم إياه بأنه نوع من هذه الأنواع التي تشترك في فتنة العقل، دليل على فعله القوي في نفوسهم»[2].

ومما لا شك فيه ولا مرية أن القرآن كلام الله المعجز بمبناه ومعناه، قد تحدى الله به الفصحاء والبلغاء-ممن ملكوا ناصية البيان- أن يأتوا بمثله، ثم تنزل معهم إلى الإتيان بعشر سور مثله مفتريات، ثم تحداهم أن يؤلفوا على منواله أقصر سورة منه، ثم فصّلَ في الأمر غالقا باب التحدي أمامهم بقوله:چ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ف ق ق ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ چ.[3]

ومن أوجه إعجازه أيضا أنه زاوج بين الخطاب العلمي العقلي المؤيد بالحجج والبراهين على صدق دعاواه، وبين الخطاب العاطفي الوجداني الصادق الذي يملك بها النفس ويأسرها، ويؤثر فيها تأثير السحر في المسحور.

لذا سأعرض في ثنايا هذا البحث: الخطاب العلمي العقلي، المبثوث في القرآن الكريم، ممثلا له ببعضآي الذكر الحكيم، ثم أثني بالخطاب الوجداني، مستعرضا بعض النماذج منه، لأحوصل أهم النتائج في الخاتمة.

أولا:الخطاب العلمي العقلي

إن القرآن كلام الله الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكل ما جاء فيه فهو حق وصدق، ويستحيل أن يخالف ما تقرره العقول السليمة والقواعد العلمية الصحيحة، فلا تناقض ولا معارضة بين النقل الصحيح(القرآن) والعقل الصريح.

وتتجلى هذه الحقيقة في النقاط الآتية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

✓ إن أول آية نزلت على قلب المصطفى× تأمر بالقراءة، وتمجّد القلم، وهما من أهم وسائل العلم والمعرفة، قال تعالى:چچچ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ژ ژ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ ک ک ک ک گ گ چ[4]، فعلِمَ يقينا أن الإسلام –ممثلا في دستوره الأول(القرآن)– هو دين العلم والمعرفة.

✓ إن المتمعن في آي الذكر الحكيم يجده يأمر بالتفكر والنظر والاعتبار، ويمجد وسيلة الفكر والبحث–أي العقل–، من ذلك قوله تعالى:چأَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾چ[5]،وقوله تعالى:چ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾چ[6]، وكم من آية قرآنية ختمت بهذه الصيغة: (أفلا تعقلون)، (أفلا تذكرون)[7].

✓ إقامة الحجج العقلية الباهرة، والبراهين القطعية الساطعة على صحة دعاواه، خصوصا ما تعلق منها بالجانب العقدي، من ذلك:

– إثبات وحدانية الله تعالى:چلَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ چ[8].

– إثبات قدرة الله المطلقة:چأَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾چ[9]، الآيات.

– إثبات البعث والنشور بدليل القدرة على الخلق الأول: چأَوَلَمْ يَرَ ژ ژ خَلْقَهُۥ مِن ک ک ک ک گ گ گ گ مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ ى ى چ[10].

✓ الإلماح في كثير من الآيات إلى بعض العلوم الكونية، والإشارة إلى بعض الحقائق العلمية الدقيقة، التي أثبت العلم التجريبي الحديث صدقها وصحتها، وهذا ما يعرف في زماننا بالإعجاز العلمي في القرآن، من ذلك[11]:

– الإشارة إلى علم الطب والأجنة: حيث تشير الآيات الكريمة في سورة المؤمنون إلى مراحل تكون الجنين بدقة متناهية، وأن مرحلة تكون العظام تسبق مرحلة الإكساء باللحم، قال تعالى:چگ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ چ[12].

والمتأملفي هذه الآيات الكريمة الواردة في تبيان مراحل تكون الجنين في رحم أمه، وغيرها من آي الذكر الحكيم، يجد إعجازا علميا مبهرا، وقف عنده العلماء القدامى والمحدثون،واللافت للانتباه، هو تعدد أوجه الإعجاز في خلق الجنين، من ذلك مثلا:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ذكر مراحل تطور الجنين بدقة عجيبة، أثبتها علم الطب الحديث، جاء في كتاب مراحل الحمل والتصرفات الطبية في الجنين: « وأورد القرآن جملة من التحولات التي تطرأ على الجنين أثناء تطوره، فذكر الخلق والتسوية والتعديل والتصوير، ونفخ الروح، كما ذكر تخليق الأعضاء كالعظام واللحم والذكورة والأنوثة والسمع والأبصار...»[13].
- استعمال القرآن الكريم لألفاظ علمية دقيقة: كالعلقة والمضغة، وغيرهما، قال صاحب كتاب التحرير والتنوير مبينا إعجاز كلمة العلقة: « ومن إعجاز القرآن العلمي تسمية الكائن باسم العلقة، فإنه في وضع بديع لهذا الاسم، إذ قد ثبت في علم التشريح أن هذا الجزء الذي استحالت إليه النطفة هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم »[14].
- إن الآيات في سورة المؤمنون جمعت بألفاظها القليلة كل المراحل التي يمر بها الجنين، وهذا من إعجاز الإيجاز، قال الباحث باحمد: « والمتتبع لأطوار الجنين يرى أنه بعد مرور المراحل الثلاث المذكورة في الآية، وبعد ظهور العظام، وكسائها باللحم يكتسب الجنين في نهاية الشهر الثاني الشكل الإنساني المميز، إذ تظهر صورة الوجه بملامح بشرية، فتقترب العينان، ويلتحم جدار الأنف والشفتان، ويأخذ صيوانا الأذن مكانهما، ويستقيم الجسم بعد أن كان مقوسا، وتتناسب الأطراف، فلا يبعد أن تجمع الآية كل هذه المعاني:

- نهاية الأطوار، بما في ذلك العظام والعضلات.
- ظهور الشكل الإنساني المميز.
- نفخ الروح في الجنين، والله تعالى أعلم»[15].

- الإشارة إلى علم الجيولوجيا: حيث يتحدث القرآن عن أنواع الجبال في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾[16]، وما أجمل أن تختتم الآيات بتمجيد العلماء(إنما يخشى الله من عباده العلماء).

والمتمعن في هذه الآيات الكريمة، يقف على إعجاز علمي باهر، وجمال تصويري لبعض مظاهر الطبيعة، مما يجعل النفس البشرية تصعق أمام هذا الوصف الرباني، ومن أجمل ما قيل في تفسير هذه الآيات، ما أورده صاحب الظلال، حيث قال:«إنها لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذا الكتاب، لفتة تطوف في الأرض كلها تتبع فيها الألوان والأصباغ في كل عوالمها، في الثمرات، وفي الجبال، وفي الناس، وفي الدواب والأنعام، لفتة تجمع في كلمات قلائل، بين الأحياء وغير الأحياء في هذه الأرض جميعاً؛ وتدع القلب مأخوذاً بذلك المعرض الإلهي الجميل الرائع الكبير الذي يشمل الأرض جميعاً.

وتبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات المختلفات الألوان،... فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة واحدة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد،...وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها؛ ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبه عجيب بألوان الثمار وتنوعها وتعددها، بل إن فيها أحياناً ما يكون على شكل بعض الثمار وحجمها كذلك، حتى ما تكاد تفرق من الثمار صغيرها وكبيرها!...وهنا لفتة في النص صادقة، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون والتظليل والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جدد غرابيب سود، حالكة شديدة السواد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللفتة إلى ألوان الصخور وتعددها وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهز القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنظر إلى الجمال نظرة تجريدية فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة وطبيعة الثمرة، وعلى بعد ما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان... ثم ألوان الناس، وهي لا تقف عند الألوان المتميزة العامة لأجناس البشر، فكل فرد بعد ذلك متميز اللون بين بني جنسه، بل متميز من توأمه الذي شاركه حملاً واحداً في بطن واحدة!

وكذلك ألوان الدواب والأنعام، والألوان والأصباغ فيها معرض كذلك جميل كمعرض الثمار ومعرض الصخور سواء.

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين، يفتحه القرآن ويقلب صفحاته ويقول: إن العلماء الذين يتلونه ويدركونه ويتدبرونه هم الذين يخشون الله:" إنما يخشى الله من عباده العلماء »[17].

- الإشارة إلى علم البحار: كالحديث عن منطقة البرزخ الموجودة بين البحرين المالحين، والتي تحمل خصائص البحرين من ملوحة وكثافة، قال تعالى: چ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ چ[18].

ثانيا:الخطاب الوجداني

من المعلوم –لمن أمعن النظر في أسلوب القرآن الكريم– أنه يخاطب النفس البشرية، ويدغدغ مشاعرها وأحاسيسها ووجدانها بصدق لا نظير له، ليحصل التأثر بالخطاب الرباني المبثوث في ثناياه، ويتجلى هذا الخطاب الوجداني في أمور كثيرة، من أبرزها ما يلي:

- ✓ إنكار القرآن على النفوس المستكبرة والقلوب المتحجرة التي عطلت حواسها عن سماع الحق والإذعان له، وأعرضت عن التذلل بين يدي الله سبحانه، قال تعالى:چکگ گ گ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ چ[19]، وقال تعالى:چذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ پ پ ڀ ڀ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ ڦ ڦ ڄ ڄ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ چ[20].
- ✓ تخصيص القرآن جزءا هاما للحديث عن النفوس البشرية وأنواعها وأمراضها، ويضرب لنا الأمثال لأجل العظة والاعتبار، لأن المثل من أفضل أساليب التربية وأعظمها تأثيرا في النفس،وأقواها في توضيح المعنى وتقريبه، من ذلك وصفه لنفوس غير مطمئنة في سورة فصلت:چلَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ژ ژ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ ک ک ک ک گ گ گ گ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾ چ.[21]

إن الآيات السابقة تقدم لنا صورة لنفس شرهة طامعة لا تعرف القناعة، ولا تقف في مطامحها عند حد، هي نفس الشخص الذي لا يملُّ من طلب الخير، كالجاه والمال والصحة والرفاهية لنفسه...، ولكنه لا يعرف فضل المنعم عليه، ولايشكر لله، ولا ينفع الآخرين، ولا ينظر لعمل...، فإذا مسه الفقر أو المرض، قنط وأيس من رحمة الله[22].

- ✓ ربط الإنسان بالغيب، وخصوصا الآخرة، فكثير من الآيات تصف المؤمن الحق بأنه موقن باليوم الآخر، وهذا الأسلوب من أعظم الأساليب التي تهذب النفس البشرية، وترتقي بها إلى مصاف الكمال، قال تعالى:چ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا پ پ ڀ ڀ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ چ چ چ چ[23]، وقوله تعالى:چوَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ ى ى ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ہ چ[24]،وقوله تعالى:چأَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ف ق ق ٱلۡيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ چ چ چ چ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ﴿٧﴾ چ[25].

✓ استعمال الأسلوب القصصي وتنويعه، وختمه في الغالب بالأمر بالاعتبار والاتعاظ والتدبر، من ذلك:

- قصة سيدنا يوسف عليه السلام، وقد خصص لها سورة بأكملها، وفي آخرها، جاءقوله تعالى: چ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ ى ى شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾ چ[26]،ومن أغراض القصة: بيان عاقبة المكر والكيد، والتأكيد على نصر الله للمؤمنين، وأن العاقبة للمتقين.

- وقصة صاحب الجنتين:چ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴿٣٢﴾ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴿٣٣﴾ ى ى ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ ہ ہ ہ ہ ہ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ پ پ پ پ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ف ق ق ق وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ چ چ چ چ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ ژ ژ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا ک ک ک ک ک ک ک ک ک قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ ى ى چ[27]، وفي القصة تربية للنفس البشرية على أن تتعلق بالله وتوحده، فهو المعطي وهو المانع.

✓ مخاطبة النفس البشرية بالترغيب والترهيب، من ذلك قوله تعالى في جانب الترهيب:چ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا ت ث ج ح وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ چ[28]،وقوله تعالى في جانب الترغيب:چ مَنۡ ژ ژ مِّن ذَكَرٍ ک ک ک ک گ گ گ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ چ[29].

ولو أردنا أن نمثل لجمال الأسلوب القرآني، الذي يهز النفس البشرية هزا قويا، ويؤثر فيها تأثيرا بليغا، فلا بأس أن نذكر كلام سيد قطب رحمه الله، وهو يفسر آية سورة ق-الآية 16-، فيقول: «إنها رحلة واحدة تبدأ من الميلاد، وتمر بالموت، وتنتهي بالبعث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحساب،....وكيف بإنسان في قبضة الجبار، المطلع على ذات الصدور؟،وكيف بإنسان طالبه هو الواحد الديان، الذي لا ينسى ولا يغفل ولا ينام!

إنه ليرجف ويضطرب ويفقد توازنه وتماسكه، حين يشعر أن السلطان في الأرض يتتبعه بجواسيسه وعيونه، ويراقبه في حركته وسكونه، وسلطان الأرض مهما تكن عيونه لا يراقب إلا الحركة الظاهرة، وهو يحتمي منه إذا آوى إلى داره، وإذا أغلق عليه بابه، أو إذا أغلق فمه!،أما قبضة الجبار فهي مسلطة عليه أينما حل وأينما سار، وأما رقابة الله فهي مسلطة على الضمائر والأسرار، فكيف بهذا الإنسان في هذه القبضة وتحت هذه الرقابة؟!...'ونحن أقرب إليه من حبل الوريد': الوريد الذي يجري فيه دمه، وهو تعبير يمثل ويصور القبضة المالكة، والرقابة المباشرة، وحين يتصور الإنسان هذه الحقيقة لا بد يرتعش ويحاسب، ولو استحضر القلب مدلول هذه العبارة وحدها ما جرؤ على كلمة لا يرضى الله عنها، بل ما جرؤ على هاجسة في الضمير لا تنال القبول، وإنها وحدها لكافية ليعيش بها الإنسان في حذر دائم ويقظة لا تغفل عن المحاسبة»[30].

- ✓ التناغم الصوتي في الحروف والكلمات والآيات، ومعلوم ما للصوت واللفظوالجرس الموسيقي من أثر بالغ في النفس البشرية، يقولالرافعي موكدا هذا المعنى: « وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل للصوت إلى الإيجاز والاجتماع أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى...

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على طرق الأداء الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته من أعماق النفس، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي، حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه، لأن فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان...

وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة، وأثرها طبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على كلٍّ إلا الإقرار والاستجابة...»[31].

خاتمة:

وفي ختام البحث الذي طوفنا فيه بين خطاب القرآن العلمي العقلي، الذي بهر عقول أولي الألباب، بإقامة الحجج والبراهين على صدق دعاواه في مجال العقيدة والتشريع والأخلاق، وبين خطاب العاطفة الذي هز أعماق النفس البشرية بأسلوب جمالي منقطع النظير، نستطيع أن ندون أهم النتائج فيما يأتي:

- ✓ إن الواجب على المسلم الذي يريد أن يستفيد من هدي القرآن في التنوير والهداية أن يعكف على دراسة القرآن ترتيلا، وتفسيرا وفهما وتطبيقا، وإنزالا على أحواله، لكي يصلح من أخلاقه وسلوكياته، ويتمثل تعاليم القرآن وأخلاقه، فيصير المسلم قرآنا يمشي على الأرض، كما كان سيدنا رسول الله ×.
- ✓ إن الأمة مطالبة شرعا بتبيان كنوز القرآن في شتى المجالات التربوية والفكرية والعلمية، من أجل دعوة غيرنا للاهتداء بهديه، ويتوكد هذا الواجب الشرعي في حق من أقامه الله في مجال علوم القرآن وعلم اللسان العربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

✓ إننا مطالبون بالمزاوجة بين العلم والعاطفة في خطاباتنا، خصوصا في الحقل الدعوي : لأن من النفوس من لا تؤمن إلا بالخطاب العقلي، كما هو حال مفكري الغرب وعلمائهم، ومن النفوس من تذعن للخطاب الوجداني الذي يأسر القلوب، ويفتح مغاليقها.

هذا جهد المقل، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن قصرت فمن نفسي، والله أسأل أن ينفع بهذه الكلمات،وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الهوامش:

1. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، دار الفكر، ط/ 2008 : 464/2.
2. تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، دار المعرفة بيروت، ط/ 13، سنة 2009: ص67.
3. الإسراء: 88، وقد مر تحدي العرب بأربع مراحل، وهي:
4. تحديهم أن يؤلفوا مثل هذا القرآن: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾الطور: 33-34.
5. تحديهم أن يؤلفوا عشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾هود: 13.
6. تحديهم أن يؤلفوا أقصر سورة مثله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: 38، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾البقرة: 23.
7. غلق باب التحدي أمام الإنس والجن إلى يوم القيامة: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾.
8. العلق: 1-5.
9. الغاشية: 17-20.
10. الأنفال: 22.
11. انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار المعرفة، بيروت، ط3/ 2005 : 242/2.
12. الأنبياء: **22**.
13. الغاشية: 17-20.
14. يس: 77-83.
15. انظر مناهل العرفان: 234/2.
16. المؤمنون: 12-14.
17. مراحل الحمل، والتصرفات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، باحمدارفيس، ط2، دار النشر ألفا ديزاين، 2005: ص91، وقد أبدع المؤلف في كتابه هذا في مسألة الجنين، حيث طوف في بحثه بين الآراء القديمة للمفسرين، وما توصلت إليه النظريات الحديثة في مجال الطب، وناقش كل الآراء المتعلقة بالمسألة على ضوء النصوص الشرعية والعلم الحديث.
18. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1404هـ/ 1984: 18/ 24.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

19. مراحل الحمل، والتصرفات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر،: ص 111.
20. فاطر: 27-28.
21. في ظلال القرآن لسيد قطب، نشر وتوزيع، مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور- باكستان، الطبعة: الأولى: 6 / ص 149- 150، بتصرف.
22. الرحمن: 19-20.
23. محمد: 24.
24. الأعراف: 179.
25. فصلت: 49-51.
26. انظر أمثال ونماذج بشرية في القرآن العظيم، لأحمد بن محمد طاحون، ط1، 1994: ص105.
27. البقرة: 1-5.
28. البقرة: 281.
29. الماعون: 1-7.
30. يوسف: 111.
31. الكهف: 32-44.
32. ق: 16.
33. النحل: 97.
34. في ظلال القرآن لسيد قطب: 7 / ص 16 – 17، بتصرف.
35. انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي لبنان، ط9، 1973: 215-217.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم، برنامج المصحف الالكتروني للمدينة المنورة.
- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، دار الفكر، ط/ 2008.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي لبنان، ط9، 1973:
- أمثال ونماذج بشرية في القرآن العظيم، لأحمد بن محمد طاحون، ط1، 1994.
- تاريخ الأدب العربي للمدارس الثانوية والعليا، دار المعرفة بيروت، ط/ 13، سنة 2009.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1404هـ/ 1984.
- في ظلال القرآن لسيد قطب، نشر وتوزيع، مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور- باكستان، الطبعة: الأولى.
- مراحل الحمل، والتصرفات الطبية في الجنين بين الشريعة الإسلامية والطب المعاصر، باحمدارفيس، ط2، دار النشر ألفا ديزاين، 2005.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، دار المعرفة، بيروت، ط3/ 2005.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com